

ذكريات حابه



قالبه

محمد عبد النبي

ذكريات عابرة

محمد عبدالنبي جمعة

ذكريات عابرة

تجارب الحياة ورحلات العودة إلى الماضي حتى نطمئن
في الحاضر

الفيوم

هذه الرواية أقدمها لأصدقائي في شتى مناحي
الحياة وخاصة أصدقائي القدامى وأصدقاء
الدار، وزملائي في كلية دار العلوم جميعا حتى إذا
لم يكن بيننا صحنبة؛ فيكفني أنكم زملاء في أربعة
أعوام .

شكرا لكم أصدقاء

الرب والعشق أمران يمر القلب بتجربة كلاهما
يوما والعقل لا يسأل إلى أين يذهب القلب إلا وقت
المواساة والفراق والموت متطابقان ويرددهم
البعض ولا يعلم ماذا تعني هذه الكلمات وربما تفهم
المعاني لاحقاً. وربما يفارق العاشقون عشاقهم
ويموتون أحياء والموت يأتي الجميع ولكنه لا يبقيك
مثل المحبين فالموت حقا رحيل ليس رحيل المشاعر
مثل العشق وإنما شيء أعمق، ربما رحيل الجسد
وربما رحيل الروح والجروح فمن يا ترى قد يعلم
قيمة هذه الكلمات قد أكون على خطأ ولكن لا تقول
خطأ وتتركني وتشق طريقك نحو الرحيل، فعذرا
أيها الصائب نحو الرحيل عليك التوقف لبره وتخبر
الجميع وتحادثني عن الصواب.

- الصغر والقصص

طفلا صغير يبدأ الحياة بلا أب ولا شقيق، فقد الكثير بل لم يبقى له سوى ذكريات الرحيل، فهو فاقد أبيه وأمه، فقد الحنان والأمان، وتبقى له من الحياة جدا لا يملك نفرا غيره في الحياة، كان جده هو الأمان في المنام، والأمان في الحنان وقت الشتاء، كان جده يحبه محبة الآباء والإخاء والأمهات فضلا عن حنان الأحفاد، وكان طفله يذهب إلى المدرسة في الصباح، والجد يجلس في المنزل يحضر له الطعام، ليعوضه عن فقدان الأم الحنونة على الطفل العائد من دراسة دامت طوال النهار، جلس الجد يحضر الطعام وانتهى منه وتذكر ذكريات كانت تحدث له في تعاقب الصباح والمساء، من جارٍ مجرم يستحل حرمات الجار والأطفال ويرمل النساء، فبكي

علي ذاك الجار الفقيد، وقال لبيتك أيها الجار ذا خيراً، تنعم بحب وحنان باقي الجوار.

وبعد لحظات من فكره العميق، طُرق الباب ويقال، لقد عدت يا جدي من المدرسة، فهل لك أن تفتح الباب، فرد الجد عليه نعم يا بني أنا قادم في الحال، ففتح الباب، وأخذ الطفل في قلبه المرتاب، وقال له ماذا درست اليوم أيها الفتى الكبير، فأجابه إنني أدرس التاريخ يا جدي فما هي أقصوصة هذا المساء، فأجابه جده اليوم تدرس عن التاريخ وأقصوصتك تتحدث عن التاريخ أيضاً، فما رأيك أيها الغلام الصغير.

- فأجابه الطفل يا جدي لقد سئمت أحداث هذا الزمان، فلما تقص عليّ تاريخ الزمان طوال المساء..؟

- الجد :- يا بني أن لم تعلم تاريخ جدك وأبيك من رجلاً عجوزاً مثلي فمن يا ترى قد يخبرك بهذه الأحوال..؟

نعم إنه أنا، تعودت علي قصة في كل مساء من جدي فيبدأ جدي قصة اليوم وهو يقول .

نحن يا بني نولد صِغاراً لا ندري ماذا يحدث
من حولنا فقط يعشقنا الجميع، ربما الصغير تارة
وربما الكبير تارة أخرى ليس لأننا مولودون
ذكورا أو حتى بنات ولكن لأننا نحن مجرد
أطفالا حفظنا الله في حفظه، ورعانا، وجعل لنا
الآباء لنسكن إليهم وسببا في النعيم الذي يحيا
فيه جميع الأطفال .

- تبدأ حياة معظمنا يا بني مع بداية عامة
الخامس وهو العام الذي يتذكره الكثير منا؛ أما
أنا ألقبه بعام الفكر والتهيئة للنضوج العقلي
لتلقي إشعارات الحياة بشتى طرقها المتواجدة
في المحيط حولك، فمننا من يتذكر لقطات طريفة
أو حزينة قليلة من عامه هذا، والبعض يتذكر
الكثير والآخر لا يتذكر أي من كلاهما .

في طفولتي كنت طفلا صغيراً لا يحب
اللعب، أمضيت وقتا كبيرا من حياتي في
الدراسة فلم أكن كسائر الأطفال يذهبون إلي
الشوارع والنوادي بل لا يكتفون بهذا فيلتحقون
بالمقاهي فضلا عن الهواتف المحمولة
والانترنت في المنازل، كان يومي يدور بين

أمرين وهو الذهاب للمدرسة والعودة إلى المنزل، ففي الصباح الباكر استيقظ للذهاب إلى المدرسة وفي نهاية اليوم الدراسي، أعود إلى المنزل واقضي واجبي المدرسي، فقد ظلت علي هذا النمط حتى بلغت من العمر أربعة عشر عاما لتتحول حياتي المدرسية إلى اللعب واللهو والعبث حتى تحطمت حصيلتي العلمية وأما عن حديث الناس في الوقت الحالي وهي الثانوية العامة كنت مهملًا كثيرًا ولكن في عامي الأخير حاولت العودة علي الطريق الصحيح مرة أخرى وكان كرم الله كبيرًا لأحصل على مجموع لم يتجاوز السبعين حتى التحقت بكليتي الجميلة كلية دار العلوم جامعة الفيوم فهي كانت حلمي من الصغر أن أكون معلمًا أو أن أكون روائيًا .

جدي أراد مني أن أكون ذو علم وعمل، وأرادني أن أكون خير محافظًا على أرضي وممتلكاتي وعلى أسرتي وشعبي المنزلي، فجلست ومن ثم جلس بجانبني وقال لي.

- جدي :- اليوم أهديك نصيحة المساء في هذه الحياة ، فأحرص دائما أن تتواجد معك في الأرجاء .

- أخبرته بتلهف:- أنا أسمعك يا جدي فلتخبرني .

في زمان الأزل يا بني كان هناك رجلا نافعا، يملك من الأرض ما يشتهيها الناس وكان ذو عقلا نافعا، يفكر في المساء لأجل الصباح، ويخطط اليوم لأجل الغد وكان له منزلاً لا يحيطه سوى أرضاً قد أحاطها اليباب، فلا تصلح حتى لحياة الذئب، لقد كان يعلوها من الكهرباء طياراً وأرضها لا تتحمل بناء منزلاً يتكون من طابقاً واحداً، وهذا الرجل كان يسكن منطقة شبيهة بالصحراء، لا يملك من الزراعة حظاً ولا بالتجارة منفعة، ولا حتى يجد في الصناعة مخرجاً، وكان لا يملك من الأبناء نفراً، ولا من العتاد والسلاح ما يحمي به نفسه وزوجته في صحراء لا يأتي إليها إلا السباع، وكان بجواره قديسة أسرية قديمة مرئية

يدافع عنها الكثير بالقرون والسيوف وأعوام
مديدة، وكان يذهب إليها لتلم شمله الشتيت ويأخذ
حظه من الصلاة بها، هذه القديسة الأثرية هي
شيئاً في غاية الأهمية لفئة من البشر وفي غاية
الخطورة والطمع لأخرى، قامت عليها القبائل
حروباً لأعوام، وتنازع عليها الأقسام
لسنوات، قتل بها بدلاً من المئات ألافاً، وكانت
هذه القديسة في النهاية تحت يد هذا الرجل يقيم
بها الصلاة ويأوي إليها في الصباح قبل المساء.

يا بني ذاك الجار قبل أن يأتيني في إحدى
الليالي جال سمعي في الأرجاء، وقد قيل عنه أنه
مجرد قاتل مبيد، يقتل قتال عنيف وهو مازال
عنيذ، فذهب إلى العروس فقتلها يوم كان عمري
صغير وقتل سائر المخلوقات الجميلة في ذاك
العروس البدوية، ولولا قوة أبناء العروس
لفسدت الأرض لبضع قرون، أبناء العروس
سحقوا الجار الخبيث من الطور الأمين، فهزم
الجار في أراض كان يأخذها غصبا من
المستضعفين، فلما ضعف أمره لجأ إلي حيلة

الرحيل إلي مسكن صغير أمين، فأشترى من رجلا أرضه ليكون له موطننا جديدا بعيدا عن الهزائم المتلاحقة، وكانت هذه المرة ناجحة بمعاييرها الكاملة، وذلك لأن الرجل الذي اشترى منه تلك الأراضي لم يكن له ابن ولا نفرا فلما أخذ منه قطعه أراد جميع ممتلكاته غصبا.

الآن أحكوا لك مرارة ذاك الرجل في زماننا القديم وما زال عائق في الحاضر الجديد .

لقد كان هناك رجلا يملك حظه من الدنيا المال وأراد أن يكون له من أرض ذاك الرجل نفاع، فأراد هذا الرجل أن يأخذ القديسة بمكر ودهاء ولكنه فشل وقتما حل عليه المساء، فعد عدته وأراد القتال، ولكنه ضعيف أمام رجل بُني جسمانه بين الرمال، ففاز عليه ذاك الذي صاحب الأرض والمال، وكان الذي صاحب المال الذي يريد الأرض غصبا يملك من الحياة جندا كثيرا وشجعان، وربما هم فتية حرب

ولكن الرجل خبير بمعارك القتال، ثم جاء بفتيته
فهزم في ثاني لقاء، فغضب وقال يا رجل لنقم
هدنة اليوم تعفينا غدا من القتال، فما رأيك يا
صاحب الحال، فوافقه ذو الضلوع من الرمال
وأقام هدنة بينهم علي أمل تهدئة الحال، ولكن
ذاك الذي صاحب الجند والمال كان ذو غدرا
وليس لوعده مكان، فهزم الذي يدافع عن بيته
ومسجد الرمال ذو القديسة الصفراء، ولم يكن
هناك حيلة للذي كان بمفرده في القتال، فأخبره
عديم الشرف أنه ذو جندا ومال، وسيشتري من
هذه الصحراء منزلك وباقي الرمال ولن
أخوض لأجلهم قتال، ففرح ذاك الذي لا يملك
جندا ولا حظا من الأبناء، فأشتري منه قطعه
صغيرة بين الجبال وعمرها هذا الرجل بطول
الزمان وأصبحت قرية مملوءة بالجند والعتاد
فلما اشتد ساعد ذاك الرجل الجبان أراد أن
يقضي على صاحب القديسة وهو في مكان
أمان، فأنقض عليه بعدما أصبح عجوزا لينال
منه خير منال ولكنه فشل في قتله، لأنه أنجب
الأبناء ودارت بينهم معركة طاحنه قتل فيها

الأبرياء، والجنود لم يتركوا طفلاً ولا امرأة
فأرادوا قتل الصغائر حتى ينتهي بكبارهم
المطاف.

- لماذا صمت يا جدي ..؟ الحكاية شيقة بين ذو
المال والأجناد أخبرني النهاية حتى أنام وأنا
مطمئن الحال . هل يقتل الأطفال والنساء وهم
ليسوا أهلاً للحرب ولا للقتال ..؟ أخبرني
أرجوك يا جدي لا تنام وأكملها لحفيدك
الصغير.

حسناً يا بني ولكني ذكرت لك أنها
نصيحة، وليست بقصة أحكوها قبل المنام؛ أريدك
أن تذكرها لطفلك عندما تكبر كل يوم قبل
المنام .

حسناً يا جدي ولكن ماذا حدث ..؟

- لم يحدث شيئاً يا بني وظلت الأحوال حتى
الآن يقتلون الجميع من الأبناء

والنساء؛ والجيران يراقبون مكتوفي الأيدي
وكانها مكبلة بالأغلال .

- ولكن يا جدي لما ذكرتها جاورتني مجرمة
وهي ليست بسيدة تتواجد بجانب الجيران ..؟
وما هي برجل؛ فماذا تقصد بهذه القصة ..؟

- الجد :- ستعلم في الكبر.

- ولكن خذ هذه يا بني جار هذا الرجل وعده
بالأمان ولكن صاحب الجند كان مجرما قتال لا
يفرق بين مقاتل ولا طفل صغير يسمع قصة
قبل المساء فهو حقا أجمل ما قيل عنه في الجيار
جارني مجرم لا يفرق بين معاقل الحروب ولا
أرض السلام.

يا بني حديثي لم يكن عن الجار قطعاً، وأنا لن
أخبرك ؛ عليك في الكبر بالاجتهاد لمعرفة مقصدي.
والآن قد انتهى حديثنا في هذا المساء و عليك النوم
باكراً للذهاب إلي المدرسة غدا باكراً أيضا .
- الطفل :- حسنا يا جدي أراك في الصباح.

- البدايات الجديدة دائما ما تكون رائعة بل هي الروعة عينها؛ وبعض البشر في البدايات هذه يلتزمون بالأوقات والوعود والسير نحو مسار الصعود والآخر يكون أكثر كسلا في البدايات الجديدة فيكون الدرج نحو الهبوط .

كل منا جميعا يبحث عن شراع ليعبر به من أوساط المياه الغادرة والوصول إلى الشاطئ الأمين، ولكن من يا تري يرغب في البحث عن فقيد الأمواج العاتية؛ الأمواج التي قد تكون هادئة ثم يعكر صفائها في أنصاف الدقائق .

ومع بزوغ الشمس الأخيرة من فصل الربيع في العام الثالث والعشرون بعد الألفية الثانية ذهبت إلى الشاطئ للإبحار في جولة بحرية لتكون ذكرى لعامي الجامعي الأخير ومن ثم استأجرت قاربا صغيرا للولوج في عالم المياه والبحار الغير متناهي إطلاقا؛ وذهبت في جولتي حتى اختفى مني الأمان؛ إنه الشاطئ

ضاع مني فأضاعني معه وأصبحت في
أوساط المياه الغادرة لا أعلم متى ستغدر بي
ولكنني على يقين أن ساعتني قد حانت بعدما
تأخر الوقت كثيرا ولم أرى أحدا فظللت أبحث
مرارا وتكرارا عن أي مخرجا بعدما
أصبحت جوعانا وأنا لست ببحار حتى أذهب
بمركبي أبعد من ذلك المقدار.

مرت الساعات وأنا على تلهف عنيف أرغب
في العودة إلي الديار.

وبعدما ساء حالي وأحوالي وأيقنت أنني الآن
في تعداد الهالكين جاءني لطف الله وأجبرني
بحنانه ويمنه .

● رحلة الضياع، وشرطية الشراع .

فألمحت شراعا صغيرا بعيد وقد جاء نحوي
وكأنه يقول لقد جئت لأجلك يا فتى .

- وجدت فتاه تهبط منه وهي تقول في غضب ما
الذي جاء بك إلي هنا ..؟

- فأعقت قائلا :- من أنتي ؟ ولما كل هذا القلق ؟ .
- فأخبرتني ... إنني شرطية الميناء والبحار وأخبرني دون مقاطعة ماذا تفعل هنا ولما كل هذا التأخير عن العودة إلى الشاطئ..؟
- قلت لها:- كنت أبحر بحثا عن الهدوء وقد أتى بي هدوئي إلي هذا المطاف.
- الشرطية بسخرية:- الهدوء؟!!!!.حقا،وما هو المزعج بالنسبة لك أو بصيغة أخرى ماذا يا ترى المزعج بالنسبة لك..؟
- لم أفكر في سؤالها حينها أردت فقط العودة إلي الديار لأنني أتضور جوعا ولكني رديت قائلا أريد العودة إلى الديار فهلا نعود،حينها تعجبت الشرطية من الرد هذا فقلت لها لا تتعجبي فإني جائع .
- الشرطية :- حسنا لدي القليل من الطعام ..تفضل.
- لقد كنت جائعا جدا أخذت الطعام وأكلت وأنهيت الطعام من شدة جوعي وأخيرا أردت أن أشكرها على الطعام والإنقاذ فأعقت قائلا :- شكرا لك أيتها الشرطية على

ما فعلتیه لأجلي،وأعذر لك عن عدم ردي
على سؤالك فهذا نابع من شدة جوعي
وخوفي.

- الشرطية :- حسنا لقد سألتك السؤال ولم
تجبنی،فهل تجيب.

- قلت لها:- هل أحدثك عن أوجاعي؛يأسي
وانكساري ولكني لا أحب أن أطيل الحديث
عليك حتى لا تعطي علي بالحب والحنان.

- الشرطية:-لا تقلق لن أكون أسيرة قلبك أيها
الحزين.

- قلت ببداية:- لقد كنت صارما حازما في حياتي
حتى أطلت عليا فتاه أسكبت مني أفكار
ومعتقداتي وكانت حائلا بين نظامي وعلمي .

- الشرطية :- الآن تبدأ حكايتك أيها الحزين بلا داع
ولا حتى لسبب يدل على سؤالي ولكن أكمل
حديثك .

والآن قد وصلنا إلى الشاطئ فحاولت أن
ابتعد عن هذه الشرطية لتجنب آلام الحياة
فقلت لها وأنا ذاهب شكرا سيدتي.

الشرطية:- إلي أين وقد وعدتني بالحديث .
قلت في خاطري :- هل أتركها وأذهب ولكن
حينها سأكون قد أخلفت بوعدني لها فقلت الآن
قد وقعت . حسنا سأخبرك .
- لقد كنت طالبا في كلية دار العلوم يوما حيث كانت
طموحاتي.

● رحلة جامعية

ذهبت إلى الجامعة مع صديقي (أحمد) وهو
أيضا من قرיתי الصغيرة وعندما وصلت إلى
الأبواب وحاولت أعبّر من إحدى أبواب
الجامعة منعني أفراد الأمن وقيل لي حينها.
- أحد أفراد الأمن قال لي:- أنت مزور بارع لقد
قمت بتزوير بطاقة الترشيح هذه .
- وأراد أن يقوم بطردي ولكني سرعان ما قمت
بفحص الموقع وأريته أنني لا أزور شيئا؛ ولا أعلم
لما فعل معي هكذا.. ؟ هل يا ترى لأن مظهري
وأسلوبي الشخصي يدل على أنني كبيرا للغاية أم

هناك شيئاً آخر ولكن لم أفكر بالأمر طويلاً بعدما عبرت هذه البوابة لأجد أن الجامعة أكثر الأماكن جمالا وروعة بل ورقيا أيضا والغريب هو تلك المكان الذي وجدت به معظم الطلاب يلتقطون الصور فيه لا أعلم ما هذا المكان فأردت أن اعرف فسألت صديقي فقال لي هذه قبة جامعة الفيوم؛ فمظهرها الخارجي أكثر من رائع، فجال في خاطري أنني إذا اجتهدت يوما ما سأكون في هذا المكان .

- بدأت حقا في متابعة محاضراتي حتى أكون في هذا المكان وأحاول بأقصى جهد وأدون محاضراتي لأجد أن هناك من يتابعني في الخفاء والعلن ولكني كنت لا أعرف وظل الحال هذا كثيرا، ليس لأنني لا اعرف ولكن من شدة خجلي من الموقف فهذه هي المرة الأولى الذي يحدث معي موقف كهذا.

- في إحدى الأيام وبينما المحاضرة يتم شرحها إذ بشخص ما يحاول جذب انتباهي لا أعرف وأظن أيضا انه لا يعرف لابد وانه قد أعجب بمنظري الخارجي على الرغم من أنني لم أكن كسائر

الشبان يهتمون بالمناظر الخداعة فماذا يا ترى
تريد مني لأنني في ذلك الوقت لست مثاليا أن
يعشقني إحداهما ولكن .

- بصوت مجهول :- لما تتهرب مني أيها الفتى ..؟
كنت محرجا من الموقف ولهذا عملت حالي
ما سمعتها .. فبدلت مقعدي بعيدا عن تلك
الفتاه حتى أتجنبها وأتجنب معوقات نجاحاتي
وطموحاتي الصغيرة .

- ومع بداية صباح جديد وطموحات جديدة
وجدت رقما غريبا على الوتساب
يحادثني،كنت منزعجا قليلا من الأمر
وقررت أن أحظر هذا الرقم ولكن أخبرني
أبي (إذا أردت أن تكون عبقريا فاهما ومدركا
لقيمة الأيام عليك بمواجهة الصعوبات
والمخاطر التي تحيط بك) فحاولت أن أبدأ
بهذه الفتاه وخاصة أنني جاهلا تماما بفنون
معاملة الآخرين فلم يكن لي أصدقاء كثير
وعلى الرغم من كل هذا فإن هذه الفتاه قامت

بالاهتمام بشئوني الخاصة على عكس الجميع
ففي رسالتها الأولى أخبرتني .

- مرحبا..كيف حالك؟

- أرسلت لها :- من أنتي حتى تبحثين عن
حالي وأحوالي ..؟

- ردت بخوف:- لا لم أقصد شيئاً ولكن أردت
أن أحصل على دفترك الخاص حتى أدون
هذه المحاضرات هل تعطيني إياه؟

لم أشعر حينها بالشفقة على هذه الفتاه
فأخبرتها :- ما تسأليني مرة ثانية؛اطلبي هذا
من صديقاتك ولكنها أصرت وألحت حتى
قابلتها ومنحتها إياه حتى تنصرف عن حياتي
.

ولكنها لم ترحل كما كنت أتوقع فقد تقربت
أكثر فأكثر حتى تعلق قلبي بها وراق قلبي لها
وبدأت تظهر لي عيوباً حتى أقوم بإصلاحها .
فقالت:- لما أنت شاب من الطراز القديم،قم
بتطوير نفسك ولو قليلاً،ومن ثم اقترحت عليّ

بعض الملابس العصرية لمواكبة باقي الشباب؛وبالفعل فعلت هذا ووجدت نفسي أكثر روعة وهي أعجبت بي كثيرا بعد هذه النقلة الكبيرة التي جاءت على جانبي العلمي وطموحاتي .

كنت لا أنام الليل من شوقي لها وهي تحادثني طوال الليل في شتي الأجواء~في الشتاء~في الصيف~في الربيع~في الخريف..لقد كان عاما مميزا بالنسبة لي فهذه المرة الأولى الذي أعشق إحداهما أو يتعلق قلبي بفتاة؛وكان هذا كله مميز ورائع حتى انقضى العام الأول،وصار قلبي متعلق بها .

ثم تركتني بصمت ورحلت لم تتفوه بكلمة وذهبت؛فحاولت مداعبتها لتعود ولكن ربما أنتقضت العهد حاولت إخبارها أنني بدونها لا أملك شيئا؛فقلبي معك روعي معك،خيالي معك حتى عقلي طار ليتبعك؛فحاولت أن أشكوها لمحاكم القلوب ولكن قاضي المحبة لم ينظر حتى لأدلتي وحكم على قلبي بعذاب ومرارة الفراق .

- جلست من حيرتي أنظر وأفكر هل حدث مني شيئاً أغضبها فلم أجد شيئاً في قاموس عشقي لها شيء محزن فهو ملئ بروح المداعبة؛ لقد كان همي بها وهمتي لها وسجين الضلوع يضيق عليّ إلا معها ففي وجودها أبتسم وأضحك وفي غيابها أبكي وأدمع؛ فتذكرت لمحات عيناها وهي تمزح، ترقص وتمرح ولكنها في النهاية لم تنظر لي بها إلا لتجرح بعدما كانت تستظرف وتضحك بهما لأجلي، فألمحت قلبي يسير في اتجاه وعقلي في الآخر ومن جهة أخرى وجدت الواقع يفرض عليّ شكلاً مختلفاً عن قلبي وعقلي، وعندما أشق طريقتي لرحلتي الجامعية فعقلي يغضب ويجرح وقلبي المسكين يبكي ويجرح وفي النهاية بعدما اعتدت علي الوضع وألم قلبي بدا يزول ومن ثم وجدت رسالة مكتوب بها (صحيح لقد أهملت مشاعرك وكنت قاسية معك وحطمت قلبك واستهنت بأوجاعك) وأعقبها ب(هل تسامحني على جهلي وطيشي هذا وسأحبك كسائر الأيام الخوالي) وقالت هل تظل تعشقني..؟

- أدهشتني وأذهلتني بجرأتها، توقعت أنها لن تتدم، ولن تعتذر أبدا ولكنها فعلتها وعادت معذرة؛ فأخبرتها (من المؤلم أن تكوني قلبي فتجرحي ومؤلم أن أبحث عنك كالمجنون ولا تبالين ومؤلم أن أحبك في العلن وفي الخباء وأنتي تبحثين عن غيري في الخباء لتعشقين) وتلوتها ب(هل تعلمين؛ لقد رأيت الفراق في جفونك بعدما أصبحت قراراتك سريعة ونظراتك لم تعد بريئة، ليت لم أمنحك الأمان يوما، لقد حطمت أقفال فؤادي دون أن تقرعي أبوابه وفي النهاية أشعلتي النيران في تلك الأبواب التي لم تبتسم يوما ولم تفتح لأحد حتى هذا الحين سوي لك.

- أمنيته معك كانت بسيطة ليست سوى أن يشاركني أفراحي وأحزاني أن لا تفارقني روعي وجروحي، تشاركني بسماتها وأمنحها ضحكاتي الصاخبة ولكن ذاك العنيد سمح بجرح قلبي وعندما سمح ذبح؛ حظا موفقا مع من يرسم بسماتك وضحكاتك .

- الفتاه :- ولكن أنت من ترسم ضحكاتي .

- لا ليس كذلك .

- وداعا .

فما رأيك أيتها الشرطية في قصة الحبس
الفقيد هل أنا على حق ..؟! وهل أنا أستحق كل
هذا العذاب والعناء؟!!

وكانت الشرطية حينها غارقة في
الدموع؛قلت لها بدموعي المتساقطة من
أوراق العيون وكل هذا من قصه صغيرة من
حياتي فما بالك بما هو كتوم (الآن أوفيت
بوعدي وداعا).

ظلت حزينا طوال المساء ولم يمر النوم على
جفوني هذا المساء مرور الكرام قط .

في صباح اليوم الثاني وجدت الشرطية تنظر
إلي بنظرات مخلوطة بالدموع والآهات
وأخبرتني لقد كنت قاسية معك أعتذر عن
ذلك .

- قلت لها :- لا داع لذلك .

- الشرطية:- هل لي أن أدعوك على كوب من القهوة ..؟
- قلت:- حسنا .
- الشرطية :- هل حقا هذه مجرد رقصة عام من حياتك ..؟ وإن كانت كذلك هل يمكنك أن تخبرني بأخرى ..؟
- حدثتها بشفقة :- أخاف عليك من فتنة قلبي إليك.
- الشرطية:- لم أفهم مقصدك ..؟
- حسنا سأخبرك؛ جرح القلوب يآثر في حبه كل من يستمع إلى نشيد السكون.
- الشرطية:- الآن فهمت ماذا تقصد؛ ولكن لا تقلق فأنا لا أعشق الكئيب الحزين وأعقت بسخرية أيعقل أن يحنو قلبي على فقيد الجراح والأوجاع ..؟
- فقلت حسنا سأخبرك أمر رأيتك بعيني هذه وقلبي مذ هذه اللحظة يندب جفوني لأنها سمحت لقلبي بالمشاهدة .
- الشرطية :- وماذا قد رأيت حتى تتحدث هكذا ..؟

- قلت لها :- قد أكون على خطأ وغيري على صواب فالاختلاف لم يكن مفترق الطرق يوماً.
- في الحياة، في الممات، في الحب، في الافتراق، في الدموع، في البسمات، نعم تبدوا حياةً جديدة غريبة مريية، لا أعلم ماذا سيحدث لاحقاً ولكني الآن في انتظار الجديد، ولكني أيضاً أبحث عن القديم لأعين هؤلاء الشباب المساكين، لأننا نغدو مع أيامٍ لا نعلم مرادها، وهي تعلم أوقاتنا وميقاتنا .
- سأطرح عليك سؤالاً وأطمح بإجابتك .
- الشرطية :- تفضل .

● رحلة الآباء في صحبة الأبناء

- من هم الآباء، من هي أمي ووالدتك، ومن هو أبي وأبيك، هل تبحث حقاً عن إجابة لهذا السؤال فلتستمع بعناية لكلماتي الصغيرة الذي لا يعلم معظم الشباب مرادها .

- ذات صباح أرادت فتاه من أبيها الكبير
المريض بعض الأموال لشراء ما تشتتية من
أغراض وأمتعة .

- الفتاه :- أبي أحتاج خمسة آلاف جنيه لشراء
ملابس وأمتعه .

- الأب:- لماذا يا أبنتي فأنتِ تملكين ما يتمناه
الكثير وليس القليل لتكوني حامده وليس كل
ما اشتيت اشتريت.

-الفتاه:- وهل ستكون باسمنا وقتما أكون
مغمورة بين أجواء الآخرين الساطعين ..؟
- الأب بعطف وحنان:- بنيتي تحلي بالصبر
والهدوء وكرم الله لن يطول .

- الفتاه بحزن:- أعلم أنك لا تحبني وتريدني
أن أكون ساذجة بين الجميع وتطلب مني
الهدوء في وقت انتظرني الجميع لأجل أن
أكون أول الراحلين .

- الأب:- حسنا سأعمل بجهد كبير لأوفر نقوداً
بالدنانير، وكوني متفوقاً ويدي ستعلو برأسك
عندما تنظرين؛ لا أطلب منك النظر

للآخرين، أريدك أن تقيمي من الاعتدال خير
مقيم .

- الفتاه :- سأكون في الموعد عندما أتيك بنجاح
الكبير .

- بالفعل بدأ الأب بالعمل ليلا نهاراً، وهو رجلا كبير
لا يطيق مرارة الغربة ولا جهد المساء
المهين، وعندما يستيقظ في الصباح ينظر إلى
المرأة ويقول ابنتي تنتظر المزيد، ولكنني الآن لا
أعرف ماذا يريد مني هذا المشيب؛ أتركني أرعى
طفلاتي وأبحث عن أحد المسنين، فلما تحملني جبال
من جليد، وتسقي الأشواك من سلسبيل، وعندك نهر
من حرير، وأنا اليوم يقتلني الظمأ فأريد
القليل، فالיום ينهار العجوز من الأنين، والحياة
أصبحت من جرحه تبكين، فوقع الأب صريعا بين
آلم الحب والفراق الأليم ويصل الخبر لابنته لتقول
.

- الفتاه وهي ترثين:- أبي وعدتني بالعهود
واليوم أنتظر الوجود .
أبي لما الرحيل .

- والفتاه تبكي وتقول أيها الأب الحنين لما تركتني وأنت خير المحبين؛ بالأمس كنت ترسم الضحكات على الكثير واليوم دموعي كالبحار على الجبين، أيها الحزن الكئيب لم تأخذ أبي وتتركني وحيد .

- رد الموت من انفطار قلب الفتاه وهي تناجين :- ما حيلتي؟ لما تلومني؟ بالأمس يطلب الاعتدال وأنت ترفضين، كان يعمل ببسمات وهو جريح، رجلا بالفعل تجاوز الخمسين، وأنتي لا زلتى لا تراعين، فأنا اليوم أطلق آهات قلبي لحزنك عليه ولكن ما حيلتي أنا من قدر الله، أراحه حتى تعلمين، ليس عليك أن تكوني قاسية بوجه برئ. حلمه كان بسيط عندما ينظر إلي السماء يراك تسطعين، عليك بالاجتهاد لكي تناجيه .

- الفتاه بحزن :- والله لأكونن من الساطعين .

- ومع إشراقه يوم جديد وهو ليس بيوم وإنما مستقبل منير ينتظر صغار الثانوية العامة إنه يوما بعنوان .

- أفراح ~ وأحزان ~ سعادة ~ وتعاسة ~ قطرات
الدموع تنهار في السراء فرحا وفي الضراء حزنا

.
انه يوم الاثنين يوم الثانوية العامة،الجميع
ينتظر،الأطفال قبل الكبار والعجائز قبيل الشباب
والأمهات تركز العمل اليوم لرؤية النتيجة والإباء
يتأخرون في الذهاب إلي العمل لأجل رؤية
البسمات ترسم على وجوه أولادهم.

والفتاه ليس لها سوي حالها فالأب قد رحل والأم
قد رحلت وتنتظر اللحظات القادمة بتلهف غريب
لتسعد قلب أبيها المغمور بين التراب حزين .

- والآن لحظات الأفراح والأحزان - دموع وبسمات
- ضيق وافتراج - إنها الثانوية العامة .. مسيبة
الأفراح والأحزان .. فهي دموع باقية لأعوام ..
وبسمات ترسم لبضع ساعات .. فأحزانها دائمة
كثيرا.. وفرحتنا بها تمر علينا مرور الكرام .. قد
تكون في ضيق وبها تصبح حر طليق وبها يزول
حزنك سواء أكان بعيد أم قريب .. أعلم أن الحياة
تقف على القليل وتمضي بالنسبة للجميع .. فلا

تجعل توقفك طويلا وأبهر الجميع في الأمد
القريب.

- كان هذا شعار يوم النتيجة الخاصة بالثانوية العامة
وفرحة الجميع يشاركها الجميع وفرحة الفتاه
تشاركها التراب الحزين .. وبعدها حصلت الفتاه
على مجموع بالفعل جعلها طيبة بشرية ذهبت
إلى القبور وهي تقول :- أبي أنا اليوم أوفي
بالوعد وأصبحت نجمة تضى الوجود لا أريد
الكثير أريد ضحكة وحنن منك أيها الغالي الدفين
وأمي رحلت قبل أن يأتيك الحين وأنت بالأمر
خير العالمين

- هل تعلمي أيتها الشرطية .. يوما ما ستدركين قيمة
الراجلين عندما تنزفين صرخات الضمير ولكن
حينها لا مجال للنادمين، عندما يرحل الإباء نرحل
نحن أيضا ولسنا بشاعرين .

● حب بلا كلام

- الشرطية :- هناء .
- قلت :- عفوا ...؟
- ردت :- هذا اسمي لم تسألني عنه فأردت أن أعلمك إياه .
- رديت ببسمة صغيرة :- اسم جميل .
- هناء:- ما هو اسمك لا أعرفه حتى الآن ..؟
- أجبت:- عمرو .
- هناء :- اسم جميل؛ وتضحك لأنها علقت بإجابتي
ثم أعقت اسمي هناء وعمري سبعة
وعشرون عاما أعيش هنا في
الإسكندرية، وأنت ماذا عنك ..؟
- أنا عمرو أعيش في الفيوم وعمري أربعة
وعشرون عاما ولكني عشقت التنقل والترحال .
- هناء:- حقا ..؟ مظهرك الخارجي رجلا كبيرا
يتجاوز الخمسين؛ وأنت تقول أربعة وعشرون ..؟
- عمرو:- ربما؛ ما بعرف.

- هـاء:- حسنا .. لقد أخبرتني عن الأب وذكرت أن الأم بالفعل قد توفت ماذا حدث لها. أردت أن لا أخبرها ولكنها أصرت فبدأت الحديث عنها؛ الأم كان لها طفلا صغير تعشقه لدرجة الجنون كان يملك من العمر أربعة أعوام وكان دائما يقول إلى متى سأكون صغيرا ..؟ أريد الكبر حتى أعين أبي وأمي على مشقة الحياة وعندما بلغ من العمر ثمانية أعوام مرض مرضا خطيرا، فأخذه الآباء إلى المستشفى ليشخص أحد الأطباء مرضه .

- فقال الطبيب لهما :- لا اعلم ما على قولة ولكن الابن لن يطول حتى يأتيه موعد الغروب .

- حزن الإباء من الأمر وأرادوا أن يروا الابن وعندما جلسوا بجواره، قال لهم ماذا قال الطبيب ..؟ فبكى الجميع الأب والأم والأخت فشعر الفتى أن الممات قريب فقال لهم عندما أرحل لا تتركوني بين التراب وحيد فأنا أخاف ظلمات المساء .

- الغريب أن الطفل في سن العاشرة قد خرج من المستشفى بسلام وأصبح حاله في أفضل حال

ويجري ويقول أبي .. أمي .. لقد نجوت من الهلاك
وصار عمري عشرة أعوام سأعينكم على الدنيا
في المساء قبل الصباح؛ وجد الفتى الأب وابنته
يكون فقال لهم أنا بخير فلماذا تبكون؛ ولكن أين
أجد أمي فأنا أشتاق إلى حضن صغير أريد أن
أريها أنني بخير حتى تُرسم الضحكات على
جبينها فأخذ يجري ويبحث عنها في جميع الغرف
في جميع أطراف المنزل ولا زال ليس لها
وجود؛ وأخيرا أخبروه أن والدتك بين التراب
مقيم، ادعوا لها أن تكون من المبشرين .

- الطفل:- ماذا..؟ هل أحياء لتموت..؟ فقال له الأب :-
بني لقد كنت مريضا بالقلب وكدت أن تموت
ولكنها أرادت أن تحقق حلمك في البلوغ حتى
تعين هذا الأب العجوز؛ لقد وهبتك قلبها.
- من حسرة الطفل على الفراق الأليم خر صريعا
ولفظ أنفاسه الأخيرة ورحل الجميع؛ فعن أي حب
أتحدث أنا لم يكن هناك حبا يوما سوى حب
وحنان من الأمهات والإباء .

- قالت هناء:- لقد اكتفيت من حديثك الحزين واليوم لن تجد خيرا مني صديق .
- أجبت:- إذا اليوم سيكون لدي صديق والضحكة لم تفارق وجهي.
- فتعجبت هناء وقالت سأعينك على ذاك الحدث الأليم .

● رحلة الرياح في حب هناء

- أصبحنا أصدقاء نعم الأمر كذلك بعدما كنت غريقا فقيدا ؛أصبحت صديقا للمنقذ الغريب،كانت تحادثني لتطمئن على حالي في كل مساء وكان الحياة تمنحني فرصة جديدة تعوضني عن حزني وكنا نتواعد للخروج وقد دعوتها على العشاء يوما ففوجئت أنها تمنعني من شرب القهوة إطلاقا .
- ذهبنا إلى مطعما وقمت بطلب العشاء وسألت هناء عن الطعام التي تود أكله هذا المساء ..؟
- أجابت هناء :- أود قليل من الأرز والسلطة وقطعتين من اللحم كاملة الاستواء

- عمرو:- حسنا.
- النادل:- مرحبا أستاذي؛ما الذي تود أن تأخذه هذا المساء سيدي ..؟
- عمرو:- مرحبا عامر؛أود مثل المساء الماضي وهي تريد الأرز والسلطة وقطعتين من اللحوم كاملتي الاستواء .
- عامر :- حسنا؛هل تودون شيئا آخر ..؟
- عمرو :- شكرا عامر.
- تناولنا العشاء،وجاء عامر.
- عامر:- هل أحضر قهوتك أستاذ ..؟
- أخبرته انتظر حتى أرى هناء؛ماذا تودين هناء ..؟
- هناء :- أود مشروبا من عصير البرتقال.
- أخبرت عامر بالمشروب وعن قهوتي وانصرف.
- لما نتقابل أيتها الشرطية؛وكنت أمزح في حديثي ..؟
- هناء :- لأننا أصدقاء أو ربما أكثر من ذلك.
- قطع عامر حديثها:- تفضل أستاذ.
- شكرا عامر

- هناء :- عمرو ليس عليك أن تشرب ذلك المشروب فهو يدمر الأعضاء وأنت مازلت صغير .

- قلت لها:- ربما؛ سأحاول في الأمد القريب.

- قالت هناء:- ممكن أجربها وأخذت منها القليل ولكن لم تطيق مرارة القهوة بلا سكريات فأنا أعشقها وهي سادة .

حاولت معي كثيرا ولكنها فشلت أن تجعلني أن أقلع عنها.

وبعدما انتهى العشاء طلبت أن نسير في الأرجاء فقالت ما هو يومك المفضل فتعجبت من السؤال ولكن على أي حال يومي المفضل هو الأحد لأنه يوم البدايات ابتدأت حياتي يوم الأحد ورسمت بسماتي يوم الأحد وعشقي الأول كان في اليوم ذاته وبدائتي الدراسية في اليوم عينه فأنا عاشق البدايات فصمتت قليلا وقالت وأين أنا من هذه الأيام لقد كنت

المنقذة والمشفقة؛ تعرف لقد أحببتك عندما كنت
تدمع وتحاول حبس الدموع حتى لا تكون أمامي
مكسور.

- حينها لم أستطع الإجابة؛ فقلت في دهشة لها هل
تحبينني ..؟

- فهزت رأسها بالموافقة وهي تقول لم أكن
عاشقة ولم أفكر يوماً أن يكون الحب دخيلاً في
قلبي الصغير ولكنك حطمت جميع أبواب قلبي
وسكنت بداخله ولن أخرجك منه قط وهذا ليس
لمقدوري ذلك ولكن هناك القليل منك وأنت
النسخة التي تتواجد أمامي لذلك لن أتركك لذلك
سأحكُ عني القليل بعدما أخبرتني عنك الكثير.

- وقالت بضحكة صاخبة سأضع عنواناً من فكري
لألمي مسلماً فعلت معي.

- عنواني هو ليس أبي ولكني أسير على خطاه .

- تعجبت من هذا العنوان الأجل؛ فأخبرتها ما هذا
العنوان الغريب ..؟

- هلاء:- لقد همست إليّ في صمت عليك أن تستمع
إلى حتى أنتهي من حديثي .
- عمرو:- حسنا . سأصمت.

● حياة هلاء في المأساة، ورحلة البحث عن المأساة

- رجلا وجدته يحافظ على فكري ومعتقداتي، يحاول
أن يجعلني سعيدة ولكنه صامتا حزينا ليس لأنه لا
ينجب من الأولاد الذكور ولكنه لا يجيد الحديث
في التعلم والتعليم؛ لم يلتحق بالمدارس مثلي ومثلك
وكسائر الأطفال؛ لقد وقف في جميع تفاصيلي
العامة قبل الخاصة؛ لقد شاركني كل ما أملك
فكري؛ طموحي؛ روعي؛ جروحي؛ يئسي؛ حتى قلبي
شاركني أجوائه لقد اختار أغنيتي المفضلة

ليسعدني وهو لا يبتسم أبدا وكانت أغنياته حزينة
حبيسة في الفؤاد .

لقد أحببته بصدق وهو يهواني بجنون هذا الرجل
ذاق من كأس العذاب مرة وكأس الذل مرة
أخرى، يعمل في الحقول، يرعى الأغنام والإبل يعمل
لأجل الدنيا وكأنه أنجب مئات الأولاد ويجتهد في
عبادة الله كأنه مفارق للحياة في الحال؛ هذا ليس
الغريب وإنما الغريب كان في إحدى الأيام جالسا
حزينا فأردت أن أرسم الضحكات على وجهه فقلت
له .

- هناء :- لماذا لا ترسم الضحكة على جبينك ..؟
- ذاك الحزين :- وما فائدة ضحكات لا تتبع من
الأعماق ..؟

- هناء :- هل أمنحك سؤالا لتعطيني غيره ..؟
- الحزين :- لا يا ابنتي لم أقصد هذا وإنما في بداية
الحياة كنت مزيجا في شتى أنحاء الحياة؛ ففي
صباح لم تشرق الشمس فيه كان والدي واضعا
مبلغا ماليا في إحدى المصارف الحكومية وكان
والدي واضع ذلك المبلغ باسمي أنا؛ فذهبنا سويا

لأخذ جزء منه فقابلت الموظفة هذه وقابلتني في
ترحاب شديد لتقول .

- الموظفة المصرفية :- مرحبا بكم؛كيف حالكن؛هل
تبحثون عن المساعدة ..؟

- الرجل الحزين :- كيف حالك أستاذة؛نحن
بخير؛نعم لقد جنئت أنا وأبى لنسحب مبلغا ماليا
الآن.

- المصرفية :- حسنا؛أخبرني اسمك إن كنت لا
تملك بطاقتك الآن لأشرع في البحث عن حسابك
المصرفي

- ذاك الحزين :- أسمى محمد،ولكني أملك بطاقتي
أيضا يمكنك الحصول عليها؛تفضلي .

- المصرفية :- حسنا؛لقد وجدت حسابك المصرفي .
كم تريد من المال ..؟

- والد الرجل :- نريد عشرون ألف دولار ولكن
بعملة مصرية.

- المصرفية :- حسنا؛يمكنك أن تقوم بالإمضاء في
هذا المربع الصغير من ذلك الشيك .

- محمد :- ما ينفع عندكم البصمات ..؟

- المصرفية :- لا الشكايات لا تقبل البصمات .
- محمد :- حسنا .. أعطيني إياه؛جلست أحاول أن أقوم بإمضاء اسمي ولكني ما أنا سوى أميا لا يجيد الكتابة ولا حتى القراءة؛فأتلقت ما يقارب من خمسة أوراق الذي تدعوها المصرفية بالشيكات وأخيرا لقد وقعت بشكل صحيح لتقول المصرفية .
- المصرفية :- ما فائدة جمع المال الآن إن لم تجيد حتى الإمضاء على هذه الشيكات ؟..

- محمد :- لقد وقعت عليّ الكلمات وقعة الصاعقة أحرقت فؤادي المسكين ولم أستطع حتى التفوه بكلمة واحدة من صعوبة هذه الكلمة وحينها أخبرت نفسي،إذا رزقني الله أطفالا سيكون علمهم يشابه نجوم هذه السماء وعندما أصبحت رجلا كبيرا وتزوجت وأنجبت من البنات أربع قمت بتعليمهم الكتابة والقراءة وأهمهم القرآن؛فابنتي الكبرى أصبحت الثانية في الثانوية العامة ولكنها رفضت الطريق وقالت سأكون خير معين لزوجي الذي لا أعلمه حتى هذا الحين وبالفعل لم تكمل الفتاه مسيرتها الدراسية وتزوجت وأصبحت سعيدة جدا مع زوجها وأما عن ابنتي الثانية

حفظت القرآن كاملاً، وكانت أزهريّة وتفوقت
وحصلت على جوائز كثيرة منها رحلتي في
الأعوام الماضية إلى بلاد الله ومسجد رسوله فهي
طفلي الجميلة والأخرى الآن في الثانوية العامة
وأما عن الأخيرة فهي طفلي البريئة لم تتجاوز
العشر سنوات وتجيد التحدث بالكثير من اللغات
فما رأيك أيتها الفتاه في هذا الرجل المقدم؛ ألا
تعتقدني أنني منحتك العلم لأجل أي شيء سوى
أنني لا أريد أن يتكرر الموقف معك، وفضلته لكي
من فراغ؛ فأنا الآن أكره الجهل وليس الجهلاء
لأنهم لم يحظوا بهذه الفرص المتاحة في هذا
الوقت وهذا الزمان

- هناء :- فما رأيك أيها الكئيب الحزين ..؟ هل تعتقد
الآن أنك الغريق الوحيد في عالم البحار الحزينة
المهينة..؟

- عمرو :- أعلم أن جراحي ما هي إلا مجرد
صفحات سيطويها الدهر مع مرور الوقت
والزمان.

● شراعي مع هناء

حقيقة أحببت هناء حبا لا يفوق الخيال على الرغم من عمرها الكبير وأردت أن أخبرها بالأمر فقلت لها :- هناء عندما أري وجهك أشعر بالارتياح وقلبي يدق لنبضات قلبك .

- وأعقت :- هناء أنا لا أحبك؛بل أعشق وجودك .
- صمتت هناء في لحظة فرح صامتة وقالت .
- هناء:- كنت أنتظرها من أيام كثيرة؛وأخيرا .
- قلت لها :- حقا ؟.. هل لقلبي عشق بقلبك ؟..
- هناء بفرحة عارمة:- أنت البداية وستكون النهاية للأبد أنت عشقي الأبدى .
- وأردت أن أعرض عليها فكرة الخطوبة لأقول .
- ما رأيك بأن تكوني زوجتي وأمي وأختي وقلبي ونبضي ..؟

- هـاء مـازحة:- هل تعرض عليّ الزواج بدون
خطبة...؟

- قلت لها :- هل تقبلين ..؟

- هـاء :- أجل؛ أنت فكري ونبض قلبي.

فوافقت بسعادة عارمة ورسمت الفرحة على
جبيني وجبينها فأردت أن أخذ موعداً من
أبيها لمقابلاته فقلت .

- مرحباً عمي؛ أنا عمرو؛ أريد أن أحدد موعداً
لخطبة ابنتك..؟

- والد هـاء:- هل أنت عمرو الصغير الذي تتحدث
عـنك هـاء كل يوم قبل المبيت ..؟

- أجبت في خوفاً؛ ربما..؟

- والد هـاء :- هي تحبك يا بني كثيراً ولكن هل لي
بسؤال لك..؟

- قلت نعم عمي تقدر تسألني كثيراً ما عندي ملل من
الأسئلة .

- والد هـاء:- لما تفكر في الزواج من فتاه كبيرة قد
اقتربت من بلوغ الثلاثون وأنت مازلت ابناً
للعشرين ..؟

- قلت له :- أحببني فأحببتها .
- والد هناء :- عشقتها ..؟ أم أردت أن ترد لها الجميل من الإنقاذ ..؟
- أخبرته؛ لا فأنا أحببت هناء، هي جميلة حنونة عليّ .
- والد هناء :- حسنا يمكنك أن تأتيني غدا .
- شكرا عمي.. سأكون بالموعد..

- كنت في السماء فرحا بعدما وافق عليّ
وذهبت لأخبر أبي بالأمر لأقول
- مرحبا أبي
 - أبي :- مرحبا بني ... أين كنت اليوم...؟
 - قلت :- كنت أرتب موعدا للخطوبة ما
 - أبي :- حقا..؟ هل ستكون العريس أم أنك تمزح معي .
 - لا يا أبي سنذهب سويا أنا وأنت وأمي وأختي
 - أبي :- مبارك لك بني.. أخيرا برى ابني عريسا .

ذهبنا إلى منزل هناء جميعا بعدما أحضر أبي
بعض الهدايا وأنا أحضرت باقة من الورود
الجميلة ذو الرائحة المثيرة وذهبنا لنطرق
الباب ومن ثم فتح الباب

- أبي :- مرحبا بنتي

- الفتاه :- مرحبا عمو

- أبي بمزاح :- هل أنت العروس ..؟

- الفتاه :- لا عمو...هي بالداخل

- أبي :- وهل أنت متزوجة ..؟

- الفتاه :- لا بضحكات

- أبي :- حسنا هل تبحثين عن عريس ..؟

- ردت الفتاه بمزاح :- هل عندك عريس لي..؟

- أبي :- نعم

- الفتاه :- أين هو...؟

- أبي :- إنه أنا .. والضحكات صاحت من أبي

والعروس فهكذا أبي يعشق المزاح .

- الفتاه :- حسنا .. تفضلوا

دخلنا جميعا إلى الداخل وجلسنا وجلست هناء
بجوارى وقرأنا الفاتحة وألبستها ما يعرفه
عصري من الذهب، وذهبنا لتناول العشاء
جميعا بعدما أهديتها باقة الورد المميزة .

وجلسنا نرتب الأمور لزواج يدوم حتى تأتينا
القبور وأخيرا لحظات الجمال والبهجة
لحظات الزواج، وبالفعل تزوجنا ومرت
الأيام مروراً سريعاً معها، عشقتها بكل ما
أملك وهي لم تبخل عليّ بقطرة حنان،
وأصبحت أوقاتنا مملوءة برسائل وصفحات
لا يعلوها سوى صوت الضحك والمزاح
فعندما كان يراها قلبي يخفق بطريقة مرعبة
لحبي بها وكانت حياتي معها عبارة عن
حدائق وأعشاب مملوءة بالنعم والرمان
بالنخيل والأعشاب فنظرة صغيرة منها تحول
حزني إلى بهجة وسرور،

ففي يومي الأول من الزواج كان يوماً رائعاً
استيقظت باكراً من فرحي لأنني اليوم بجوار
عشقي المثير لقلبي وأخذتها بحضني الدافئ

وأخبرتها بحبي لها وهي أيضا أخبرتني عن
مدى فرحتها بجواري .

- هناء :- حسنا سأحضر الفطار
- حقا هل تحضرين الفطار وأمي قد أحضرته لأجلنا
؟..

- هناء :- حقا .. ؟ والدتك تحبك كثيرا .

- نعم هي تحبني جدا .

- هناء :- سأخذ حماما سريعا وأعود

- فأخبرتها بضحكات؛ حسنا لناخذه سويا .

- وبعدها انتهينا تناولنا الفطار وذهبنا للجلوس مع
أبي وأمي .

كانت هناء حريصة على فرحتي الدائمة
وكانت زائرة مقيمة لأبي وأمي وأختي من
دون حديث ولا علم فتبحث عن سعادتي في
جميع الأماكن الذي أهفو إليها وفرحتي
الكبيرة عندما أخبرتني أنني سأكون أبا وهي
تقول .

- هـاء :- ما رأىك بالأطفال ..؟
- أعشقهم..ولكن لماذا...؟
- هـاء :- لأنك ستكون أب
- حقا ...؟ هل ستتجبن ...؟
- هـاء :- أجل...طفلا صغيرا
- هذا خبرا رائعا وأخذتها وذهبت لأفرح أبي وأمي
وقد منحها أبي هدايا رائعا منها الذهب والورود
وقال أبي
- أبي :- وهل أسميتم الطفل ...؟
- هـاء :- لا . أنت من يسميه
- أبي :- حسنا ... سأسميه عروة
- رديت بخجل .. أبي هل تسميه لاسم مسلسل
المفضل ..؟
- أبي :- لا بل المفضل لي أنا
- هـاء :- أسم جميل

فرحتي كانت كبيرة وأحنو عليها لدرجة تفوق
الجنان وعلى الرغم من متاعب ومشاق الحمل كانت
حريصة على سعادتي هكذا الحياة لا بل هكذا
الزواج الحقيقي وفي يوما جلست أكتب منشورا
روائيا وأخبرتني أنها تريدني أن أضمها إلى قلبي
فتقول

- هناء :- هل تترك الكتابة لأجلي ...؟

- عمرو :- بل أترك عمري لأجلك

- هناء :- أريد شيئا صغير .. فأنا اليوم أشعر

أنني لست بخير

- أرعبتني بهذه الكلمات وقلت لها ماذا تريدان

؟..

- هناء :- أريد حضنا طويل لا تتركني فيه سوى

للمبيت ..؟

- تعجبت من الأمر وقلت لها بماذا تشعرين...؟

- قالت هناء :- تبدو ساعتى ستكون الحين وانهاالت

بالبكاء الشديد

فأخذتها بحضن عميق ودموع غزيرة حينها
قد تملأ بدلا من الآبار بحارا، وعندما أبعدها
عن قلبي وجدت أنها فارقت الحياة فكانت
قدماي حينها خانت جسمي وسقط صريعا
بجوارها وظللت حزينا بدلا من الشهور سنين
والدموع لم تترك خدي الحزين شعرت أن
السعادة لم تخلق لأجلي .

كانت تعيش معي في منامي ودمي بعد مماتها
كانت تملأ فراغي في منزلي حتى رحلت
وطلبت مني الطريق القويم لتطمئن علي في
مماتها؛ كلماتها لم تفارق أذني يوما وحتى هذا
الحين أسمع حديثها وصوتها في قلبي قبل
رأسي .

من إفراط حزني كنت أنوح بصمت مثل
السيدات وأقول بخاطري لبيت قلبي هذا اليوم
دفين وأنت بحياتك الرائعة تنعمين ليثني أنا
الذاهب ويذهب معي كل ذلك الألم الحزين

وحينها سأكون أيضا خير المحبين لقد
وعدتني بالبقاء وأنا اليوم مقيم وذهبتني بكل
حبك وكلام الحنين أردت أن أكون على
فراش الموت وأنتِ تنتظرين فكم لبستِ في
حياتك حتى ترحلين فتبا لك أيها الموت الأليم
أعلم أنك تسمعين وقلبي معك فلا
تبكين، أضرمت النيران بقلبي وقت الرحيل
وأصبح في الفراق جريح؛ تبا لك أيها الموت
المهين فأنا لم أذق طعمك حتى الحين ولكني
سأكرس حياتي لأجلك وإني لمن الراحين
في الصباح أشعر بتوقف نبضك أيها الجميل
وفي المساء أحادث ظلك وصورك فليت
نبضي انتهى قبل فراق حضنك أيتها البريئة
فيا ليت قلبي هذا اليوم دفين .

رحلت هناء ورحلت قصتي لا أريد تدوين
المزيد؛ ليس لأن قلبي ضعيف ولكن قلبي صار دفين
فقيد، والفقيد لا يجيد الحديث، لا أريد المزيد كنت
وحيدا بلا عناء فأتاني الحنين والحنان وتعلقت بقلبه
بجنان ثم رحل، ولكني أنا سأكون يوما خير الراحلين
.

بعد رحيلها تركت البشر وجلست في انعزال لا أريد
رؤية أحد وكان أصدقائي يأتون ليطمئنوا على حالي
حتى جاء وقت الخروج لأجل العمل المؤجل من
بضعة شهور لتسير الشركة على ما يرام وكنت
موظفا مكتبي، وكنت مسئول عن الرسائل الواردة
والمرسلة إلى الشركات الأخرى واتفاقيات الاستيراد
والتصدير وعلى الجانب الآخر قام صديقا بمحادثتي
ليقول

- أحمد :- مرحبا عمرو؛ كيف حالك يا رجل..؟

- أجبت :- بخير يا صديقي؛ وماذا عنك..؟

- أحمد :- أنا بخير أما أنت فلا ؛لذلك حجزت لك موعدا طبيا .

- فقلت في دهشة أنا لا أشكو من أي شيء فلما الطبيب...؟

- أحمد:- لا أنت لست بخير؛أما عن الطبيب فهو طبيبا نفسيا.

- فأعقت حديثي بقولي له :- يا صديقي أشكرك على محاولتك لتحسين حالي ولكني أنا الآن في أفضل حال لذلك ؛شكرا لك .

- أحمد:- حسنا فلتجرب وإن لم تجد تحسنا أو إن لم تكن محبا للتكملة فدع الطبيب وكن من الراحلين .

- أردت أن أرفض ولكنه أصر فذهبت إلي الطبيب وفي جلستي الأولى وجدت أشياء غريبة في العيادة الطبية فمثلا جمجمة بشرية وهيكل عظميا لا أعرف ما الفائدة من ذلك ولكن ربما لها منفعة ما .

وعندما جاء دوري في الدخول دخلت أنا
وصديقي فطلب الطبيب منه الرحيل فرحل
وطلب مني أن أجلس أمامه على مكتبه
فجلست وكانت بدايته معي يقول

- الطبيب:- مرحبا أستاذ

- فأجبت بخير دكتور

- الطبيب :- ما هو اسمك حتى أدونه لدي ...؟

- فأجبت اسمي عمرو

- الطبيب :- حسنا يا عمرو؛ لماذا جئت إليّ ...؟

- عمرو:- صراحة لم أكن راضيا عن الذهاب لك
ولكن صديقي أصر على ذلك

- الطبيب:- لا بأس سأيسر عليك السؤال قليلا؛ ما
الذي تشكو منه وما هي اللحظة الأخيرة الذي
توقفت حياتك عندها...؟

- عمرو:- أما عن سؤالك الأول فأنا لا أشكو من
شيء وعن الآخر لقد كانت بحضني بعدما طلبت

مني احتضانها ورحلت بين يدي هاتين والدموع
سالت من جفوني حينها ولم أستطع فعل شيء لها

- الطبيب :- وما الذي يشعرك بالحزن..؟

- عفوا دكتور أهل هذا سؤالاً...؟

- الطبيب :- لم يكن مقصدي كما فهمت ولكن

مقصدي لماذا تشعر بالندم والأسى لفراقها...؟

- أجبتة هل تدرك قيمة فتاه أعطتك كل ما تملك

وكانت تمزح وتفرح...؟ لقد منحنتي كل شيء

وعندما أرادتني أن أحتضنها بكت لبرهة في هذه

البرهة شعرت أنها تقول لم يعد يعشقني كالسابق

وثم أخذتها بقلبي ورحلت وهي به ؛أيعقل أيها

الطبيب أن يأخذها الموت مني وهي بقلبي...؟

- الطبيب:- وهي الآن من الراحلين، فلما تقلب

المواقع على قلبك..؟

- عمرو :- لا أستطيع رؤية شيء إلا وجهها

فيرأودني في العشي والإبكار ولحظاتي الصغيرة

معها لا تتركني أنام .

- الطبيب:- هل تريد أن تراها..؟
- ماذا تقول وهل أستطيع أن أراها...؟
- الطبيب :- أجل
- أين هي الآن لأضمها بقلبي ولن أتركها هذه المرة
- الطبيب :- لقد وعدتك برؤيتها ولم أعدك بأن أعيدها من الممات والأموات لا يأتون بعد الرحيل
- حسنا ؛ولكن كيف سأراها...؟
- الطبيب :- ستري الآن ولكن امتطي هذا المقعد
- ذهبت بلهفة وجلست على المقعد ومن ثم جاء الطبيب بجانبني ويقول
- الطبيب :- الآن نبدأ
- بعدما جلست على مقعد المرضى بناء على طلب الطبيب ظننت أنه سيمنحني نوعا من الدواء يجعلني أراها ولكنه قال لي
- الطبيب :- عليك بالاسترخاء...؟

- أحبته كيف لي أن أكون في حالة من الاسترخاء
...؟

- الطبيب :- خذ نفسا عميقا ثم قم بإخراجه على
ثلاثة مراحل

بالفعل بدأت في فعل ذلك أخذ نفسا للشهيق
وثلاثة للزفير حينها شعرت بالراحة النسبية
البسيطة ومن ثم قال لي الطبيب

-الطبيب :- هل أنت مستعد الآن...؟

-قلت له لما...؟ ولكني مستعد

أخرج الطبيب حاسوبه وبدأ بتشغيل مقطعا
مرئيا وكان حديثه عن حفلاتي مع هناء في
عرسنا الجميل الذي ما زال معلق بأذهاني مع
هناء حينها شعرت بالغضب وبدأ قلبي في
النبض بسرعة لا يفوقها سرعة لم أستطع
تجميع طاقتي في الرؤية بعدما فاضت عيناني

بالدموع فقلت له :- أيها الطبيب أغلق هذا
الجهاز

- الطبيب:- لما..؟ أنت الذي طلبت رؤيتها أم أنا...؟
- كانت الدموع غزيرة لدرجة أنني تفوهت بكلمة
إضافية بشق الأنفاس وأنا أخبره أيها الطبيب أنا لا
أطيق مرارة الفراق وأنت تريني شروق الشمس
بعدها أغربت عن وجهي
- الطبيب :- هل تتألم ...؟
- الطبيب :- هل تحزن لرؤيتها...؟
- أحببت أيها الطبيب لم تقول هذا الكلام عليك
إغلاق هذا الحاسوب وكنت في غاية الغضب
وكدت أن أهدده بتدمير هذا الجهاز ولكنه شعر
بالأمر أنني أتألم بشكل موجه فقرر الطبيب
إطفاء الحاسوب وذلك بعدما فقدت صوابي
والسيطرة على أعصابي
- أيها الطبيب :- لما تريدني أن أعود لدرجة الصفر
بعدها تخطيتها...؟

- الطبيب :- وهل تعتقد أن حالك هكذا أفضل..؟

- - نعم أنا الآن رائعا

- الطبيب:- ولكن إن لم تستطع مشاهدته هذه المقطوعة فأنت مازلت مريضا

- عمرو:- حقا ومما يشتكي دائي ..؟! ولما لا تعطيني دوائي...؟

- الطبيب:- يا فتى أنت صغير فلا تكن قاتلا للفؤاد وأنت أهلا للكتاب؛كن حامدا لله

- عمرو:- الحمد لله

خرجت من عند الطبيب وأفكر ما سيكون عليه حالي وعندما سرت على الطريق بمفردي وجدت أطفال صغيرة تصرخ للنجدة من مجموعة من اللصوص ففكرت أن حالي يشبه هؤلاء الأطفال وجال بخاطر أن اتركهم ليزوق هذا الواقع المؤلم واقعي المعدم ولكن عندما بدأت في السير من جديد بعد توقف

قليل وجدت الأطفال تقول؛ أيها السائر الوحيد
احمنا من هؤلاء المجرمين حينها كادت
صرخات الأطفال أن تشق أذناي لذلك فكرت
ألا أتركهم

- فذهبت لكي أرى ما يحدث هناك فوجدت
مجموعة من اللصوص تريد بعض النقود من
هؤلاء الأطفال ولكنهم لا يملكون المال لذلك
أرادوا الجوال

وكنت عندها بالقرب من مدينة تدعي (إيفيك)
وكانت السماء تمطر وترعد وكانت الأجواء
مضطربة والأمطار غزيرة للغاية والشوارع
مغطاة تماما بالمياه فوجدت العديد من الشبان
اللصوص ما يقارب الثمانية منهم وكان عمر
الطفلين لم يتجاوز الثانية عشر حاولت
محادثتهم لأقول لهم

- مرحبا أيها الرجال

- فرد عليّ أحدهم من أنت...؟
 - قلت له مجرد رجلا يريد المساعدة؛فماذا تريدون من الأطفال...؟
 - رد أكبرهم سنا :- وهل تستطيع أن تمنحنا ما نريده أيها المدلل ...؟
 - أخبرته :- ربما على الأقل أقدم المساعدة بمال حلال أسامحكم فيه وأنا أعطية وأنتم تكونوا شبابا صالحين
 - وجدت صوتا آخر يقول :- أصمت يا هذا نحن نريد الكثير والكثير وأنت مجرد رجلا حقير ويبدو أنك تملك القليل لذلك لن نكونوا من المغادرين .
 - حسنا كم تريدون من المال مقابل أن تتركوا الأطفال...؟
 - رد كبيرهم :- هم يملكون هواتف كلا منهم ما يقارب من أربعة آلاف لذلك
- فلتعطيني ثمانية آلاف وسنرحل

حسنا كان معي ما يقارب عشرة آلاف جنية
فأخرجت ثمانية وأعطيتهم إياهم

- فقال أوسطهم :- أنت تملك الكثير إذن فلتعطيني
الباقي .

- قلت له :- لما تخلف الوعود؟

- رد أوسطهم :- لسنا أصحاب وعود حتى ننتقد
العهود وأعطيني الباقي بهدوء وإلا

- شعرت أنه يقول إن لم تعطيني إياهم ستكون
العواقب وخيمة ليس عليك فقط بل على الأطفال
أيضا لذلك أخرجت المبلغ الباقي ومنحته إياه .

- فقال مجهول :- يبدو أنك تملك الكثير؛ وتملك هاتف
ثمين الثمن .

- أخبرته :- عفوا .. أنت أخذت الكثير.. عليك الآن
الرحيل

- المجهول :- لن نرحل حتى نأخذ هذا الهاتف
الثمين

- حسنا ..من المفترض أن تكون من الشباب ..
وتعمل بجد حتى تأكل من الحلال
- المجهول :- لما تطيل الحديث ...؟ هل تريد أن تكون فقيد ...؟ ولا تكثر حديثك في المباح؛ يا رجل نحن لا نفرق بين الأمرين لذلك عليك السكوت .
- عفوا .. وهل تريد الشجار مع رجلا أرادكم أن تكونوا صالحين ..؟
- نعم ؛وسأطرحك أرضا إذا لم تعطيني الهاتف
- فأغضبني واتجهت نحوه وبدأ بالاعتداء بالأيدي فقامت بطرحه أرض ونزلت عليه ضربا ليلتف حولي جميعهم في محاولة ضربي على ما فعلت ولكن حينها وجدت الأطفال يحاولون الهروب في بطئ فصرخت قائلاً:- اهربوا سريعا الآن وعلى عجلة وكان هذا بصوت مرتفع مخيف وفعلا هرب الأطفال سريعا فوجدت الأطفال يهربون مسرعين وذهب بعضهم للحاق بالأطفال ولكن أخيرا اختفى الأطفال من هؤلاء المجرمين

فأسرعت لأوسع هؤلاء الأوغاد ضربا وأقوم
بحماية الأطفال

تشابكنا وكدت أن اردعهم جميعا، ولكنني فقدت
الوعي بلا فجأة، لا أعلم ما حدث لي، وعندما
سال الدم من رأسي هرب الأوغاد ولكنهم
أخذوا هاتفي المحمول

وبعد دقائق قليلة وجدت الأطفال عائدة
مسرعين وهم يشيرون نحوي هو والآخر
وقاموا بإجلاسي على الأرض وهم يقولون

- أحد الأطفال يبكي ويقول :- نحن آسفون .
- لم أستطع الرد
- فقال الآخر :- هل أنت بخير أستاذ ...؟
- فأشرت بإصبعي أنني بخير
- قال الفتى الأول :- لولا وجودك في هذا الوقت لكنا
في تعداد الهالكين
- قلت له :- كن حامدا لله هو الذي أرسلني إليكم

- قال الاثنان في آن واحد :- الحمد لله .

- قلت لهم بصوت به القليل من الحسرة

- لما انتم خارج المنزل الآن...؟

وسرعان ما قال الفتى الأول :- كنا نلعب في الأرجاء فرحين بقدوم يوم العيد .. فذهبنا نستبق ونلعب معا فانهاالت السماء بكاء علينا بأطارها فأخذنا طريق العودة إلى المنزل فوجدنا هؤلاء .

- ورد الآخر :- أرادوا منا المال ولم يكن لدينا المال فأرادوا الهواتف ونحن لا نملك سواه .

حينها شعرت أن الأرض تطوف بي في الأرجاء ولا أرى الأطفال وفجأة استيقظت في المستشفى الخاصة بالحي وكان من حولي الأطباء يقول أحدهم

- أحد الأطباء :- هل عثرتم على شيء معه
يدلنا على أقربائه...؟

- رد آخر :- لا لم نعثر على شيء سوى
بطاقته

- الطبيب وهل تواصلتم مع أهله بالعنوان
الموجود بالبطاقة الشخصية ..؟

- رد عليه الآخر :- لا فنحن الآن في أواخر
الليل وعددنا قليل لذلك سننتظر للصباح حينها
استيقظت وقلت لهم من الذي جاء بي إلى
هنا...؟ وكان لدي طفلان صغيران أين هم
؟...

- قال الطبيب :- لم يكن هناك أطفالا

- وأتبع بقوله :- بما تشعر الآن ..؟ وهل
أنت بخير..؟

- ألححت على أن أعرف أين الأطفال خوفا
من عودة اللصوص فقلت أخبرني رجاء
أين هم...؟

- الطبيب :- يبدووا أنه في حالة سيئة وأشار
إلى الذي جانبه إشارة ما حينها لم أشعر
بشيء لأستيقظ في صباح اليوم التالي
وجدت ممرضه بالقرب مني تقول .

- الممرضة :- مرحبا

- قلت مرحبا أستاذة

- الممرضة :- هل تعلم أين أنت...؟

- أخبرتها نعم في مستشفى ما وإن لم
تخونني ذاكرتي هي مستشفى حي
ليفيك؛ أليس كذلك...؟

- الممرضة :- إنها كذلك

- فتعجبت من سؤالها فأخبرتها لما تسألين
؟..

- الممرضة :- لأن الطبيب قال إنك تعاني
من مشاكل في الذاكرة لسوء حالتك

- لا لا؛ أعاني من شيء ولكن أخبريني كان
بجوارى صغيران هل هما بخير..؟

- الممرضة بتعجب :- عن أي طفلين
تتحدث ..؟

- أعقبت قولي :- لقد كانوا معي بالأمس

- الممرضة :- هل تعي لما تقول ..؟

شعرت وكأنها تقول يبدو أن الطبيب على صواب
إما أنه مجنون أو يعاني من مشاكل بالذاكرة ولكنها
بعدما صمتت لبره ردت وقالت بهدوء .

- الممرضة :- ما الذي حدث معك بالأمس ...؟

- فأخبرتها بما حدث وقلت لها لذلك أتساءل عن
الأطفال .

- الممرضة :- حسنا .. أثبت أنك بخير ولكنهم عندما
وجدوك كنت بمفردك

- قلت لها حسنا وبعدها قاربت الساعة على العاشرة صباحا وجدت أشخاصا تقول .

- مجهول :- كان بالأمس حادثة سرقة على الطريق وكان هناك رجلا مريض تكاثر عليه قطاع الطريق هل أتى إليكم ...؟

- رد مجهول :- لا أعلم ولكن هناك شخصا جاء بحادثة على الطريق وهو بالغرفة السابعة على اليمين من الدور الثاني الذي نحن به الآن .

فوجدت رجلين كبيرين بالغين من العمر ما يقارب الثلاثون يقول احدهم .

- احد الغرباء :- مرحبا أيها المريض

- قلت مرحبا بك

- ذاك الغريب :- هل أنت صاحب حادثة الأمس مع طفلين ..؟

- قلت نعم ولكن كيف عرفت عن الأمر ..؟ ومن أنت ؟..

- فقال الغريب الآخر :- أنا احد آباء الأبناء الذي حدثت معه حادثة الأمس وهذا الآخر يبدووا وكأنه والد الطفل الآخر

- قلت لهم حسنا ؛ أين الأطفال...؟! وهل هم بخير ..؟

- رد الغريب الأول :- هم بخير وماذا عنك ..؟

- قلت له :- أنا بخير .

- رد الآخر :- علمنا من الأطفال ما فعلت ليلة أمس وعلمنا أنك أعطيتهم مالك وسرقوا هاتفك فجئت لأعطيك هذا المبلغ تعويضا عما فقدت بالأمس، وكرما منك لإنقاذ طفلي

- قلت له :- ماذا تفعل ..؟

- رد قائلا :- أعوضك

- قلت له :- وهل إذا حدث لهم مكروه فهل يمكن لأحد أن يعوضك ..؟

- قال :- لا.

- فقلت له :- هكذا أنا .

- قال الآخر :- هل لك أقارب ..؟

- أجبته :- نعم

- قال :- فلما لم تتصل بهم من هاتف هنا ..؟

- قلت له :- سيدي؛الناس هنا كانوا يظنون أنني
مجنونا حتى أتيتم أنتم وأثبتتم ذلك أنني محق وأنني
ذو عقلا

- فقال لي :- حسنا خذ هذا وأعلمهم بأمرك

- قلت له :- حسنا وأخذت أكتب رقم هاتف والدي
وحدثته هاتفيا .

- مرحبا أبي

- مرحبا بني؛أين أنت ..؟ وكيف حالك ...؟ ولما
تحادثني من هاتف غريب..؟

- أجبته على تلك الأسئلة الكثيرة،يا أبي لقد تعرضت
لحادث أمس وقصصت عليه الأمر وأنا الآن
بخير؛وأنا الآن في مستشفى قرية ليفيك ولا تأتي فأنا
خارج الآن .

فصدم أبي من الأمر وأصر على المجيء وبالفعل قد أتى .

- أبي بحزن ممزوج بالحنان:- كيف حالك يا بني..؟

- قلت :- لا تقلق يا أبي فأنا بخير

- فشكرت الذي أعطاني الهاتف وخرجوا من الغرفة ولم يدخلوا إلا عندما أتى أبي .

- فقال لي :- إذا كنت تشكرني من مكالمة هاتفية؛فماذا عسي أن أقدم لك ..؟

- قال أبي :- لا شيء؛فقط كن حامدا لله أن الأطفال بخير.

- رد الاثنين :- ربيت فأحسننت التربية؛فأنت ذو خلق وكذلك فتاك شكرا لكم .

- فقال أبي :- هل نخرج الآن أم ماذا ننتظر ..؟

وكان حينها يبدوا موعدا لدواء ما؛فقام أبي وقال للطبيب .

- أبي :- أيها الطبيب هل من الممكن أخذ طفلي والرحيل ...؟

- قال الطبيب :- نعم؛ولكن لابد أن يكون حافظا لجرحه حتى لا يتألم .

- قال أبي :- حسنا،وقال لي هيا بنا يا بني وغادرنا المستشفى وعدنا إلى المنزل فأردت أن أخرج وأتمشى ولكن لم يسمح لي أبي بذلك وقال لي أنا سبب ما حدث لك؛كان عليا أن لا أتركك للخروج وأنت في حالة من الانهيار النفسي ولكني لن أسمح لك بالنزول حتى التحسن وزارني أصدقائي وجالسوني لفترة ما تقارب سبعة أيام تقريبا .

وبالفعل جلست حتى يوم التاسع والعشرين من شهر رمضان وقد قيل في دار الإفتاء أنه تم الإطلاع على هلال شهر شوال وغدا هو أول أيام عيد الفطر المبارك .

فخرجت بالمساء مع أصدقائي وبعدها مر ما يقارب ساعة مع أصدقائي استأذنتهم بالرحيل لأقول - تصبحون على خير يا شباب وكل عام وأنتم بخير.

- فقالوا :- إلي أين تذهب..؟

- قلت لهم :- سأذهب لأنام فأنا متعب جدا .

- قالوا :- ليكن الله في عونك .

تركتمهم ورحلت إلى هناء بالمقابر وقلت لها.

- مرحبا هناء .

- لقد تعرفت عليك في يوما شبيه لهذا اليوم وجئت إليك لأخبرك أنني أشتاق إليك؛ أعلم أنك وحيد في هذه الديار، ولكني أنا أيضا وحيدا في ديارى بدونك .

هل تعلمين أنني أحضرت لكى هديه، انظري إنها باقة من الورود البنفسجية التي تعشقينها، وأحضرت لكى ملابس العيد أنتى وعروة أيضا خذي إياهم فهم لكم .

كنت أبكى ولا أعلم ماذا أفعل ولكن فجئته جاء أحدا من خلفي وقال يا بني لما تعذب نفسك هكذا ..؟ هذا الحديث يجعلها في غاية الحزن؛ قم تعال إلي منزلي وكان هذا الرجل

والد هناء وكان في حزن شديد على ما حدث
لي بعدما هجرتني هناء

- والد هناء:- لما كل هذا الحزن ..؟ عليك أن تمضى
قدما للأمام فكل هذا يدمرك ويقتلك وينهي
مستقبلك وأنت ما زلت صغير

- فقلت بدموع :- إذا كان هذا سيقربها مني سأظل
هكذا .

- والد هناء :- ولكن يا بني كيف للأموات أن يتقربوا
من الأحياء ...؟

- لا أعلم ولكن هناء في دمي لا أستطيع نسيانها .

- والد هناء :- سأخبرك أمرا يا بني .. عليك أن
تقابلني غدا بعد الصلاة وسنجلس سويا في حديقة
عامة ؛ هل توافق...؟

- حسنا عمي سأكون معك؛ ولكن لما ...؟

- والد هناء :- حتى ترى أن الحياة لن تقف عليك
وعلى هناء ؛ هناك آلاف الموتى في كل يوم ومع
ذلك لن تتوقف الحياة ولو لحظة واحدة

- حسنا عمي ألك غدا ..إلى اللقاء

- والد هناء :- إلى اللقاء بني

- في صباح يوم العيد جميع الناس منهم الرجال والأطفال؛النساء والشباب؛العجائز والصغار جميعهم في محبه وفرحه عارمة؛نعم من يريد أن يرى الإسلام حقا ينظر إلي هذا اليوم الجميل فذهبت إلى المسجد وكلما يقابلني أحد يقول .

- كل عام وأنتم بخير ، عيد سعيد عليكم

ذهبت أنا وصديقي إلى مجتمع الصلاة فوجدت الأطفال يصلون فرأوني؛ ف جاء أحدهم إليّ تقريبا الذي لاحظ وجودي في مجتمع صلاه العيد فسلم عليا ليقول

- أحد الأطفال :- مرحبا أيها الشجاع
- رديت مبتسما :- مرحبا أيها الصغير .. كيف حالك..؟
- رد الطفل :- هذا السؤال من واجبي فأنت المريض وأنا بخير...ولكن على أي حال أنا بخير..
- أخبرته مبتسما :- ليس المريض وحده الذي يقول الحمد لله...جميع البشر يمكنهم قول الحمد لله أو بخير
- حينها جاء الطفل الآخر وقال :- شكرا لك ثم صمت بضع لحظات وقال هل تتألم من تلك اللحظة..؟
- أخبرته :- الذي فعلته كان واجبي وليس عليك شكري،لأن الشكر دائما لله .
- أما عن التألم؛فنعم لقد عانيت لفترة طويلة وكان الجرح كبير فكان من الصعب المرور منه سريعا لذلك أقول الحمد لله
- رد الطفل الأول :- هل لنا أن نتعرف بك ..؟

- فأجبتة :- نعم سيكون من الرائع أن تكونوا صغارا
وتصادقون الكبار
- فرد الطفل :- حسنا ... ما اسمك ..؟
- أجبت :- عمرو ... وماذا عنك...؟
- أجاب الطفل :- كريم ... وهذا صديقي خالد
- فقلت له مرحبا خالد مازحا له .
- رد خالد :- لقد سمعت أبي يحدثك منذ أياما
تقريبا؛ هل أصبحتم أصدقاء...؟
- أجبتة :- ربما
- كريم :- وكذلك أبي أصبح صديقا لولدك .
- تعجبت حينها من الأمر وقلت له :- حقا...؟
- كريم :- نعم كان والدك يوم أمس عندنا وكان
يلقي علينا تحية العيد وهي .. كل عام وأنتم بخير
- كنت في حالة من الدهول؛ وهل حقا أبي أصبح له
أصدقاء جدد بهذه السرعة، ما بعرف .. ربما.

- حسنا أيها الصغار يمكننا الذهاب الآن لأنه حان وقت التكبير والصلاة ذهبنا وجلسنا لنكبر ثم نصلي العيد الذي لا يأتينا إلا مرتين في العام فهذه شعائرنا العظيمة، شعائر الإسلام وبعدها انتهت الصلاة ذهب كلا منا إلى مكان ما فأبي ذهب لأخته وأمي ذهبت لخالتي وأنا أسلم على الجميع لأذهب لأختي فهي ملجئي وأنا ملجئها، ذهبت إليها وقمت بالسلام عليها ولزوجها لأقول .

- سلام الله عليكم يا أهل الدار

- أختي وزوجها بصوت واحد :- وعليك السلام ..
تفضل

- فسلمت على زوجها وأنا أقول له ؛كل عام وأنت بخير

- فرد :- وأنتم بخير وبأفضل حال

- ثم ذهبت اتجاه أختي :- كل عام وأنت بخير أختي العزيزة

- ردت أختي :- وأنت بخير أخي؛تفضل بالجلوس

- فجلست معهم ما يقارب نصف ساعة تقريبا فدار
بيننا حوار لن أنساه أبدا
- فقالت أختي:- هل أنت بخير الآن ..؟
- أجبتها نعم أنا بخير دائما
- قالت :- أنا لا أمزح لأن الحياة قاسية عليك في
الأوقات الأخيرة
- أجبت :- ربما، ولكني بخير
- فقالت :- ما رأيك بهند ..؟
- أجبت في حيرة:- من هند..؟ ولما رأيي..؟
- أجابت :- لتكون زوجتك، أم انك ستظل بدون
زواج وأطفال..؟
- أجبت :- نعم لا أريد شيئا
- أختي :- وهل هذه حياة ..؟
- رديت قائلا :- نعم هي حياة بدون ألم، نعم هي
حياة بلا فراق

- رد زوجها :- يا عمرو إن الحياة ما هي إلا
تجارب، فربما تجد السعادة مرة أخرى بدلا من
ذاك العذاب

- أجبت :- يوما ما سأفكر

- أختي :- حسنا ولكن لا تنسى

- ثم قمت وطلبت الرحيل

- فقالت أختي :- إلي أين ..؟

- أجبت :- لمصافحة باقي الأقرباء، خالتك وأقربائك

- أختي :- حسنا

- قلت لزوجها ولها :- أبي يدعوكم على العشاء
اليوم فلا تتأخروا

- زوجها:- بالطبع سنكون بالموعد، ولكن لا تأخر
أنت وكان يضاحكني

- أجبته :- سأكون حاضرا قبلكم فخرجت لأن
موعدي مع والد هناء قد حان فذهب إلى الملتقى
الذي واعدته إياه .

- فقال :- أنت دائما بالموعد
- أجبت :- أحب الدقائق في المواعدة ولا أحب التأخر لحظة
- والد هناء :- حسنا .. كل عام وأنت بخير
- فأجبت :- وأنتم بخير، وجلست بجواره في صمت
- ثم قال :- أنت تريد أن تعرف لما جئت بك اليوم هنا
- أخبرته :- نعم
- قال :- قبل وفاة هناء تركت لك جوابا مكتوبا وقالت عندما أموت سيكون هذا الجواب لدي عمرو فخذة وأقرأه .
- قلت :- شكرا لك، وأنصرف، وذهبت أنا أيضا لقرأه ما بالجواب وعندما وصلت المنزل فتحته لأقرأ .

قلبي الحنون وعمري الجميل؛ إذا كان جوابي
بيدك فأنا الآن بين التراب، لا تبكي من كلماتي
هذه؛ فبكائك يحزنني، وأتألم من رؤيتك حزين،

فأستمع إلى رسالتي في حب وشفقه، ولكن
إياك أن تدمع عيناك فهذا يبكيني؛ وبكائي في
التراب موجه وحزين ولن أجد مثلك يشفق
على قلبي بين التراب، ربما لأنني لا أجد من
يواسيني؛ قبل أن أتزوجك؛ لقد قابلتني فتاه
وقالت لي

- فتاه مجهولة :- مرحبا

- فرديت عليها :- مرحبا بك

- الفتاه :- هل تعلمين شخصا يدعى عمرو ..؟ وهو
شخصا يحب الكتابة

- هناء :- ربما، ولكن لما..؟

- الفتاه :- لقد أحببته بصدق، ومشاعر حقيقية، وهو
أحبني أيضا ولكني تركته فترة من الزمان لأنني
كنت مريضة، وقال لي الأطباء أنني سأرحل قريبا
وهو كان يعشقني بجنون ليس لأنني أول فتاه
أحبها ولكني منحته أشياء يفقدها، فأغرم بي
بجنون ثم تركته لكي أبتعد عنه لأنه لن يتحمل
خبر وفاتي، لذلك مثلت الخيانة والرحيل

- هـاء :- يبدوا أنك الفتاه الجامعية التي أحبها
- الفتاه :- نعم أنها أنا
- هـاء :- وهل هذا صحيح ..؟
- الفتاه :- نعم لقد كنت خائفة من حزنه الشديد فمئلت
الرحيل
- هـاء :- ولكنه حقا كان من الراحلين وأنا من أعدته
على الطريق الصحيح
- الفتاه :- ولكني أنا حبه الأول
- هـاء :- ولكنك جرحت ولم تصوني هذا القلب
البريء ولكني أنا أداوي هذه الجراح فمن الذي
يمنحه الحب الحقيقي الآن أنا أم أنت ..؟
- الفتاه :- حسنا ولكني قتيلة في فراقه، ولا أستطيع
أن أحيأ في بعده
- هـاء :- وما خطأي حتى أعاقب عليه، هل تعرفين
أمرا لقد استثنى قلبي بين الجميع بعد أيام كثيرة
من التقرب منه
- الفتاه :- حسنا بدموع، سأرحل بعيدا

وبالفعل قد رحلت الفتاه ولم أجدها مره أخرى
؛شعرت بالذنب لأنني قلت لها هذا الكلام فهي
أيضا أحبتك بصدق،ورأيتها بعد زواجنا بعده
أشهر ووعدها بأنك ستكون لها وهي لك
فرجاء لا ترفض طلبي وأنا سأكون من
الشاكرين لك؛اذهب إليها وتزوجها فهي
تعشقتك أكثر مني بكثير ولا تفرط في دقائقك
معها .

جلست أفكر ما الذي أفعله ..؟! ولما هناء كتبت
تلك الرسالة أصلا..؟! ربما هناك أمرا لا
أعلمه ..؟

ظللت بضعة أيام أفكر في الأمر حتى قررت
أن أفي لها بطلها فبحثت عن رقمها لم أجده
وذهبت إلى منزلها لم أجدها لقد غادروا
المنزل منذ سنوات، وظل بحثي عليها قائما
حتى قالت أختي لي يوما بعد يآسي .

- أختي :- الذي تبحث عنها أنا أعرف مكانها .
- أجبتها :- حقا ؟.. أين ؟..
- أختي :- لقد قلت لك هند وأنت لم تفكر بالأمر
- هل كنت تقصدين حينها هند صديقتي القديمة..؟
- أختي :- نعم
- فقلت لها :- أين أجدها

بعدهما علمت مكانها ذهبت إليها وحدثتها عما
 كتبت هناء وهل هذا حقيقة ما دار بينك وبين
 هناء

- هند :- نعم
- ولما لم تخبريني بالأمر..؟
- هند :- كنت أخاف عليك من هول الموقف عليك
- فقلت لها :- ومرיתי بكل هذا العذاب بمفردك ؟..
- هند :- ما عاد يفرق معي أنا الآن في أفضل حال
 منذ أن جئتني

أخذتها بحضني بعدما علمت عن الأمر وأقول
في نفسي، هل حقا أنا الخاطيء أم هي، أم أنها
بريئة وتحبني بصدق وقد فعلت ذلك لأجلي
وقد مرت بتجربة صعبة جدا، وعانت
بمفردها، ولكنها أيضا أشعلت النار بقلبي ولم
تخبرني بالأمر وجعلتني أن أرى أنها
تكرهني فكان أمري في حيرة كبيرة، لا أعلم
على أي أمر أحزن لأجله، هل أحزن على
فراق هناء ..؟! أم أحزن على ما فعلته
صديقتي الجامعية ...؟! أم أحزن على ما مرت
به من مرض خطير ..؟! ربما سأجد الإجابة
لاحقا فطلبت منها أن تستمر في متابعة حالتها
الصحية عند طبيبها فأخذتها لأطمئن على
حالتها عند طبيبها .

- عندما وجدت طبيبها قلت له :- مرحبا أيها الطبيب

- الطبيب :- مرحبا

- هند :- جئت لأرى حالتي أيها الطبيب

- الطبيب :- يبدو أن حالتك في تحسن شديد
- هند :- نعم أيها الطبيب؛ عمرو هو كل ما أملك
وعندما رأيته مره أخرى أصبحت أفضل
- أخبرت الطبيب :- هي دائما محفوظة بقلبي فلا
تقلق عليها وسأكون معها للنهية حتى يتم
علاجها، وشفائها وبعدها تفحصها الطبيب وهي في
فرحة كبيرة وقال لها
- الطبيب :- أنت اليوم بصحة رائعة وتبقى لكي
مجرد خطوة صغيرة حتى تكوني بخير دائما
- فقالت هند :- حمدا لله .. سأخبر أمي عن الأمر
- الطبيب :- عمرو؛ هل لي أن أتحدث معك قليلا
- أخبرته :- نعم، وبكل تأكيد
- الطبيب :- أين كنت في الفترة الماضية؛ كانت
تعاني في صمت وحديثها عنك لم ينقطع يوما
عليك بأن تعتني جيدا لأمرها، وكن حذرا لأنها إذا
تعرضت إلى أي صدمة خارجية ستكون حالتها

في غاية السوء وستعود إلى نقطة الصفر العلاجية
فكن حريصا

- أخبرته :- حسنا سأبذل قصارى جهدي لأجل
سعادتها

- هند مقاطعة لحديثنا :- لقد أخبرت أمي بالأمر
وسنذهب سويا للعشاء عندها .

- الطبيب :- عمرو يجب عليك أن تقوم بإسعادها في
كل أمر أراضته

- أجابت هند :- كن سامعا للطبيب؛ يقول عليك أن
تقوم بإخراجي يوميا للتنزه وأن تشتري لأجلي
الهدايا حتى أتم العلاج

- الطبيب :- أقترح عليك أن تأخذها في سفر قريب
حتى تبقوا بعيدا عن مشاكلكم هنا

- أجبت في حيرة أمري :- بكل تأكيد

أخذتها ورحلت في رحلة تتكون من خمسة
أيام ولم أخبر أحدا بالأمر وكانت هند في

فرحة عارمة لا أعلم لما كل هذه الفرحة هل
لأنها شفيت من مرضها أم أنها عادت من
جديد إلى حضن الوعيد وبعدها انتهت رحلتي
معها عدنا من جديد إلي الديار وكانت تنتظر
اللحظة الذي أعرض عليها الزواج فقالت لي

- هند :- متى ستقابل أبي وأمي ..؟

- أجبتها :- ولما أقابلهم ..؟

- هند :- حتى تقوم بخطبتي

- أجبتها :- ربما قريبا، قلت لها هكذا حتى لا أكون
سببا في عودة مرضها أو حتى حزنها وبعدها جاء
اليوم الذي حدده الطبيب لنرى تقدم حالتها ذهبنا
إليه وأخبرها أنها الآن في أفضل حال ولا تحتاج
إلي المتابعة معي من اليوم، حينها كانت في حالة
لن أستطيع وصفها من شدة سعادتها بالأمر وكانت
هذه أول خطواتي حتى أبتعد عنها لأن قلبي مازال
معلقا بهناء على الرغم من خطابها لي لكني لا
أستطيع أن أحيا برفقة فتاه غيرها فأردت أن أخذ

بمشورة أحدهم فذهبت إلى صديق قديم وأخبرته
ما في الأمر وقال لي صديقي كريم .

- كريم :- تزوجها إذا كانت تحبك

- قلت له عفوا وماذا عني ..؟

- كريم :- ستنسى يوما ما حدث لهناء ولكنك الآن
تحتاج إلى طريق جديد حتى تعود إلي الحياة

- حسنا صديقي

بالفعل تزوجتها بعدما أخذت بمشورة أبي
وصديقي وكان يوم زواجنا يوما رائعا ولكن
هناء لم تخرج من رأسي طوال اليوم وكان
اليوم زواجي بهناء فلاحظت هند هذا الأمر
ولكنها لا تعلم فيما أفكر وفكري بعيدا عنها
وبعدما انتهى كل شيء، انتهت السهرة الجميلة
ذهبنا إلى منزلنا وحاولت هند أن تخفف من
أحزاني على هناء لتقول .

- هند :- لا تفكر كثيرا فالיום يلتقي الأحبة

- حاولت أن أنسى هناء ولكني لم أستطع وذهبتنا للنوم أنا وهند وفي صباح اليوم الثاني وعندما استيقظت وجدت هند تنظر إلي وتقول .

- هند :- هل تحبها بكل هذه الحدود ..؟

- كنت حائرا عن ماذا تتحدثين ..؟

- هند :- هناء

- أخبرتها أن هناء مصدر فرحتي وسعادتي وكل لحظة جميلة عشتها بعدما كنت سببا في أحزاني

- هند :- حسنا ولكني الآن سأكون لك وكل ما تملك وسترى هذه المرة وحقا حاولت هند مرارا وتكرارا أن أنسى هناء مرة عن طريق المداعبة والرومانسية والأخرى عن طريق ضحكاتي وبسماتي حتى بدأت أسقط في حبها مرة أخرى، كانت دائما لا تغادر حياتي في كل لحظاتها وتفصيلها حتى تعلقت بها من جديد وأنجبت لي طفلا صغيرا، وأصبحت الحياة معها مثل الجنة وقد خرجت هناء من فكري لا أعلم كيف ولكن هذا ما حدث .

ربما الاهتمام هو ما يطلبه القلب والعقل، ربما
تهتم بالآخرين وهم لا يحبوك فتري أنهم
أصبحوا يعشقونك من الأعماق ولكن هذا
ليس السؤال ولكن حقا السؤال الغريب هل
تري أنني حقا لا أستحق كل هذا العناء على
الرغم من أن الله يعوضني خيرا.

ربما تلقاني مجددا لا أعلم ولكني سررت
بقراءتك لمنشوري .

وأخيرا ليس على الجميع الرحيل عندما يرحل الراحطين